# قصة الكلمة المترجمة

## ( القتل أنفى للقتل )

## لأستاذ جليل

تلاقت عبقرية الأستاذ ( الرافعي ) — رحمه الله — في الأدب وعبقرية الأستاذ ( العريان ) في الوفاء ؛ وأوحت الأولى إلى الثانية (وحيها) فكانت ( حياة الرافعي ) ، أو هذه ( المقالات الرافعية ) في ( الرسالة الغراء ) وقد رآها الناس في هذا العام نجوماً ، وسيجتلونه بعد حين بدراً بل شمساً ذات أضواء في كتاب . ولم تجتزئ هذه ( المقالات ) بخيرها العميم وفضلها العظيم — وإنهما لمحسبان — بل جاب الخير خيراً ، وساق الفضل فضلاً ؛ فقال الأستاذ محمود محمد شاكر ( مقاله ) ، وجادل الأستاذ سيد قطب ( جداله )، ولو لم يكن الرافعيُّ قطب أقطاب ماحدّث عنه قطب...

وما هذه الأحاديث التي أنصها اليوم في الرسالة

ونُصّ الحديثَ إلى أهله فإن الوثيقة في نصّه[1]

إلا من إحسان تلك المقالات التي أفضل بها إلى العربية فتى الفتيان وسيد الشبان الأستاذ محمد سعيد العريان

* * *

أشار الأستاذ محمد سعيد في ( المقالة السابعة والعشرين ) من مقالاته الرشيقة الأنيقة الرافعية إلى حكاية الكلمة الفارسية (القتل أنفى للقتل) وإني لأظن أن كثيرين من الأدباء والباحثين يودون أن يعرفوا تلك القصة بكمالها ، فهأنذا أحكيها ، وسأروي طائفة من الأقوال في الكلمة الفارسية ، وقد تقتضي الحال زيادة في هذا القصص للإفادة والتبيين و«الحديث ذو شجون» فأمليها

* * *

كتب صاحب (العثرات في اللغة والأدب) في الرابعة والرابعين من (عثراته) في جريدة ( كوكب الشرق الغراء) في (٧ رجب ١٣٥٢ ) كلمة عنوانها (موازنة) قال فيها : « قالت العرب قديماً في معنى القصاص وأنه جُنّة من العدوان : (القتل أنفى للقتل) ، ثم أقبل القرآن الكريم على آثار العرب فقال : « ولكم في القصاص حياة يا أولى الألباب » وقالت : (موازنة العثرات) : « هي — أي عبارة القتل — كلمة عربية جاهلية » ثم سطرت شيئاً ، محصوله[1] أن الكلمة الفارسية قد فاتت الآية القرآنية

والمقايسة بين الشيئين قد اختلف أيّما اختلاف قدرَاهما ، وتفاوتت كل التفاوت حالتاهما — تذكرنا بهذه الأملوحة في (عيون الأخبار) لابن قتيبة : « نافر رجل من جَرم رجلاً من الأنصار إلى رجل من قريش ، فقال القرشي للجرمي : أبالجاهلية تفاخره أم بالاسلام؟

قال : بالاسلام

قال : كيف تفاخره وهم آووا رسول الله ونصروه حتى أظهر الله الاسلام ؟ !

قال الجرمي : فكيف تكون قلة الحياء ... ؟ »

أفطنت (موازنة العثرات) وارتقب المرتقبون البيان الحق والقول الفصل في ذاك الهزل ، فظهرت في جريدة (كوكب الشرق ١٢ رجب ١٣٥٢ ) كلمة عنوانها (قالته الفارسية ، وتنكره العربية ، القتل أنفى للقتل) أعلن فيها أن هذه المقولة ليست جاهلية ولاعربية ولامولدة ، وأنها مترجمة . ومما قالته الكلمة : « أجل العربية المحكمة المبينة أن تقول هذا القول : ( القتل أنفى للقتل ) إنها لا تعرفه ، إنها تنكره ، ولو قالته — وهو يبدو حكمة ومثلاً — لروته رواتها ، فلا الميداني صاحب (مجمع الأمثال) عرفه ، وقد جمع في كتابه أكثر من ستة آلاف مثل ، ولا ابن عبد ربه سمع به ، ولو نمى[2] في (الجزيرة) لانتظمته (جوهرة أمثاله) ولا أبو بكر البلاقلاني اشتمل عليه كتابه (إعجاز القرآن) ولا عبد القاهر أشار إليه في (دلائل الاعجاز) ولا (كشاف جار الله) وجدناه فيه . ودع كلام القائلين من ( الكتاب ) في إيراده معزوًّا إلى العرب وما سطروا . إنه قول ما قالته العربية ولا مولدوها ، وإنما هو كلام فارسي نقله الناقل — وربما أخطأت

(١) رواه الزمخشري في الأساس

(١) محصول مراده فيه وجهان أحدهما أن يكون مصدراً وضع موضع الفاعل ، والثاني أن يقال إن حصله بمعنى حصله بالتشديد (الأساس)

(٢) نمى ينمي ، ومنه نامية الله خلقه لأنهم ينمون ، وربما قالوا : ينمو نمواً (الاساس ، اللسان)

النزعة — ورائحتها فيه تكاد تفوح . ولو قالته العربية ما قالت : ( القتل أنفى للقتل ) وهى تريد أن القتل يزيل القتل ، أو يستأصله أو يفنيه ، ونفى القتل لا يبيده ، ونفى المجرم القاتل لا يريح الناس منه ... ومادة ( ن ف ى ) كاشفة ما يلتبس »

وقالت الكلمة : « ولكم فى القصاص حياة يا أولى الألباب — قول عربى ، قول قرآنى لا يستقل بوصفه — إذا احتيج إلى وصفه — إلا بلاغة النبى ، بل هو يصف نفسه ، ويعلن فضله ، وينادى إعجازه على إعجازه و (القتل أنفى للقتل) قول فارسى ، نقله مترجم عربى ، وفيه ضعف . معناه كريم ، ولفظه لئيم ، قاله ( أردشير ) الملك . قال الامام الثعالبى فى ( الايجاز والاعجاز ) : من أراد أن يعرف جوامع الكلم ويتنبه لفضل الاختصار ، ويحيط ببلاغة الايماء ، ويفطن لكفاية الايجاز — فليتدبر القرآن ، وليتأمل علوه على سائر الكلام ، فمن ذلك قوله (عز اسمه) : ولكم فى القصاص حياة . ويحكى عن أردشير الملك ما ترجمه بعض البلغاء أنه قال : ( القتل أنفى للقتل ) فنى كلام الله تعالى كل ما فى كلام أردشير وزيادة معان حسنة ، منها إبانة العدل بذكر القصاص ، والافصاح عن الغرض المطلوب فيه من الحياة ، والحثّ بالرغبة والرهبة على تنفيذ حكم الله والجمع بين القصاص والحياة ، والبعد من التكرير الذى يشق على النفس فان فى قوله القتل أنفى للقتل تكريراً ، غيرُه أبلغ منه »

وأشارت ( الكلمة ) في ( الكوكب ) إلى إيجاز الآية الكريمة وإعجازها ، وروت قولا لصاحب ( دلائل الاعجاز ) فى « الموازنة بين بعض الآى وبين ما يقوله الناس فى معناها » ونقلت كلام ( الكشاف ) فى تلك الآية المعجزة

ثم ظهر مقال بليغ فائق للأستاذ الرافعي ( رحمه الله ) فى جريدة البلاغ ( ١٥ ) رجب سنة ١٣٥٢ عنوانه ( كلمة مؤمنة فى رد كلمة كافرة ) قال فيه : « لقد تنبأ القاضى الباقلاني قبل مئات السنين بمقالة الكوكب هذى فأسلفها الرد بقوله : فان اشتبه على متأدب أو متشاعر أو ناشئ أو مرمد[1] فصاحة القرآن وموقع بلاغته وعجيب براعته — فما عليك منه ، إنما يخبر عن نفسه ويدل على عجزه ، ويبين عن جهله ، ويصرح بسخافة فهمه وركاكة عقله »

وقال الأستاذ الرافعى ( رحمه الله ) : أنا أقرر أن هذه الكلمة مولدة وضعت بعد نزول القرآن الكريم وأخذت من الآية ، والتوليد فيها بيّن ، وأثر الصنعة ظاهر عليها ، فعلى الكاتب أن يدفع هذا بما يثبت أنها مما صح نقله عن الجاهلية »

ثم أوضح ( رحمه الله ) وهن الكلمة الفارسية أيما إيضاح ، ثم أبان ببيانه العالى فضائل الآية الكريمة ومما قاله :

« ومن إعجاز هذه اللفظة أنها باختيارها دون كلمة القتل تشير إلى أنه سيأتى فى عصور الانسانية العالمة المتحضرة عصر لا يرى فيه قتل القاتل بجنايته إلا شراً من قتل المقتول ، لأن المقتول يهلك بأسباب كثيرة مختلفة على حين أن أخذ القاتل بقتله ليس فيه إلا نية قتله ، فعبّرت الآية باللغة التى تلائم هذا العصر القانونى الفلسفى ، وجاءت بالكلمة التى لن تجد فى هذه اللغة ما يجزئ عنها فى الاتساع لكل ما يراد بها من فلسفة العقوبة »

« إن لفظ ( حياة ) هو فى حقيقته الفلسفية أعم من التعبير ( بنفى القتل ) لأن نفى القتل إنما هو حياة واحدة ، أى ترك الروح فى الجسم ، فلا يحتمل شيئاً من المعانى السامية وليس فيه غير هذا المعنى الطبيعي الساذج ، وتعبير الكلمة العربية عن الحياة ( بنفي القتل ) تعبير غليظ عامي »

« جعلُ نتيجة القتل حياة من أعجب ما فى الشعر ، يسمو إلى الغاية من الخيال ، ولكن أعجب ما فيه أنه ليس خيالا بل يتحول إلى تعبير علمى يسمو إلى الغاية من الدقة ، كأنه يقول بلسان العلم : فى نوع من سلب الحياة نوع من إيجاب الحياة »

« فاذا تأملت ما تقدم وأنعمت فيه تحققت أن الآية الكريمة لا يتم إعجازها إلا بما تمت به من قوله ( يا أولى الألباب ) فهذا نداء عجيب يسجد له من يفهمه إذ هو موجه للعرب فى ظاهره على قدر ما بلغوا من معانى اللب ، ولكنه في حقيقته موجه لاقامة البرهان على طائفة من فلاسفة القانون والاجتماع هم هؤلاء الذين يرون إجرام المجرم شذوذاً في التركيب العصبى ، أو وراثة محتومة ، أو حالة نفسية قاهرة إلى ما يجرى هذا المجرى ، فمن

(١) مرمد فى رواية المقال فى البلاغ وفى النسخة المطبوعة من ( إعجاز القرآن ) وأظن أن أصلها مبتدئ ، وقد حرفت الكلمة فى مكان آخر فى كتاب الباقلانى : « وإن كنت فى الصنيعة مرمداً وفى المعرفة بها متوسطاً فلا بد من التقليد » والمرمد الفقير وبفتح الميم الثانية . الهالك وأرمد الله العين فهي رمدة وهو أرمد ورمد

ثم يرون أن لا عقاب على جريمة لأن المجرم عندهم مريض له حكم المرضى ، وهذه فلسفة تحتملها الأدمغة والكتب ، وهي تحول القلب إلى مصلحة الفرد ، وتصرفه عن مصلحة المجتمع ، فنبههم الله إلى ألبابهم دون عقولهم كأن يقرر لهم أن حقيقة العلم ليست بالعقل والرأى ، بل هي من قبل ذلك باللب والبصيرة ، وفلسفة اللب هذه هي آخر ما انتهت إليه فلسفة الدنيا »

« وانتهت الآية بقوله تعالى : ( لعلكم تتقون ) وهي كلمة من لغة كل زمن ، ومعناها في زمننا نحن يا أولى الألباب ، أنه برهان الحياة في حكمة القصاص نسوقه لكم ، لعلكم تتقون على الحياة الاجتماعية عاقبة خلافه ، فاجعلوا وجهتكم إلى وقاية المجتمع لا إلى وقاية الفرد »

هذا بعض ما قاله فقيد العربية الأستاذ الرافعي ( رحمه الله وكافأه ) ولما اطلع الأستاذ النشاشيبي على هذا المقال البليغ في ( البلاغ ) بعث إلى هذه الجريدة بكلمة عنوانها : ( إنها مترجمة ) نشرتها في ١٩ من رجب ١٣٥٢ بعد مقدمة منها ، ومما جاء في تلك الكلمة : « قال الأديب الكبير الأستاذ مصطفى صادق الرافعي في رده في ( البلاغ ) على[1] كاتب في ( الكوكب ) : ( إن القتل أنفى للقتل مولدة وأنها مأخوذة من آية ) ومعاذ الله أن تكون مولدة ، وأن تكون قد أخذت من آية ، ولو كان ذلك لوجدنا عليها مسحة[2] — وإن قلت — من الجمال القرآني وها هي ذي ، كما يراها رائيها ، لا تكلف أحداً في البشاعة وصفها فهي ليست بعربية ولا بمولدة ، ولم تبصر في يوم ضياء القرآن ، بل هي مترجمة ، وربما أخطأ الناقل في الترجمة »

( للقصة بقية )

* * *

(١) في القاموس واللسان : رد عليه : خطأه بالتشديد ، وللامام الجاحظ كتاب الرد على النصارى . وقد سمعت بعض الفضلاء يقول : لا يقال رد عليه بل رده ! وفي مقدمة ( الكشاف ) : ورد ورد عليه

(٢) على وجهه مسحة ملك ومسحة جمال أي أثر ظاهر منه ، ولا يقال ذلك إلا في المدح ( النهاية ) الأزهري : العرب تقول : به مسحة من هزال وبه مسحة من سمن وجمال ( اللسان )


## العدد الممتاز

أعدنا طبع العدد ٢٤٦ وهو العدد الهجري الممتاز فمن أراد اقتناءه فليطلبه من إدارة الرسالة بالسعر العادي وهو عشرة مليمات غير أجرة البريد

١٠٥٦٤


# فلسفة التربية

## تطبيقات على التربية في مصر

للأستاذ محمد حسن ظاظا

— ٢١ —

« يجب أن تكون المدرسة صورة مصغرة للمجتمع المنشود »

« *** »

« الديمقراطية هي النظام الذي يمكن الجميع من تحقيق أقصى مجهوداتهم » « بأستور »

« يجب أن تكون أعمال الفرد في الجماعة الديمقراطية شائقة جذابة » « وولف »

### ١١ — سبيل الاصلاح

واليوم ماذا أقول ؟ لقد عرضت عليك فيما مضى صورة واضحة لشخصية خريج معاهدنا بما فيها من عقل وعاطفة وجسم ، وبينت لك أن هذه الشخصية لا تتفق وروح التربية الحديثة في أقل القليل ، ولا تصلح لأن تحقق آمال الوطن في صون الاستقلال وتزعم الشرق وإحياء المجد القديم ! فلم يبق اليوم إلا أن أسير معك إلى طريق الاصلاح علنا نصيب هنالك شيئا :

#### ١ — مجلس أعلى للتربية والتعليم

وكثيراً ما تناولت الصحف أمر هذا المجلس بالحديث ، ولكن قليلا ما عنيت الحكومة به وأخرجته إلى حيز الوجود ! وأنت لا تكاد تجد دولة راقية بغير هذا المجلس الخطير ، ولا تستطيع أن تتصور اتزاناً واستقراراً في ناحية البرامج المدرسية إلا إذا كان مصدر هذه البرامج لجنة فنية راقية ثابتة تمثل جميع الهيئات المتصلة بنواحي التعليم كالمدرسين والنظار ، وعمداء الكليات ورؤساء النقابات ، ورجال الأعمال وزعماء الأحزاب والأديان ؛ فإذا ما أوجدنا مثل هذا المجلس أمكننا أن نوفق بين تجارب المدرسين والنظار ورؤساء الأعمال ، وبين الخطط الدراسية والمناهج التعليمية وحاجات البلاد ، وبذلك تكون لدينا غاية معلومة لها فلسفتها الخاصة ، وخطة مرسومة توصل إلى هذه